مأتم حاشد لشهيد الحرية من وسط بيروت الى قلب الاشرفية

سمير قصير حمله الرفاق وتصفيق هزّ القلوب

وردة حمراء من أرملته عند القبر وصرخة ألم من رفاقه: "منحبك"

نعش الزميل الشهيد امام مبنى "النهار".

موكب النعش يخترق الوسط التجاري.

النعش يتوسط الكاتدرائية، وجلست قربه أرملة الشهيد جيزيل وابنتاه ميسا وليانا.

تحيية.

سمير قصير "على ارض" البرلمان، وبدا محاططاً، ووراءه شعيب وتويني حاملين النعش، وجلول.

المطارنة عودة وخضر وخوري يحوطهم كهنة وشمامسة خلال الجنار.

من اليمين: الوزيران بترى وقباني ودكاش في الصف الامامي، والمطرانان كلاس وبطلوس والنواب عبو وشلهوب، والمطران غزال.

من اليمين: صولانج الجميل، جوسي الجميل، الرئيس الجميل، السفير ايميه، جنبلاط، الحريري، حماده وبعبكلي في الصف الامامي. وبدا وراءهم السفراء ريتو وفيلتمان ورواط والسعد وابريال البر والنواب ابو جمرة.

ليانا وميسا: تحضنان قرب نعش والدهما.

جيزيل وحدها امام القبر.

ليانا تبكي مع جيزيل.

السفير فيلتمان مترئساً.

جنبلاط يقدم تعازيه الى ارملة الشهيد. وبدا جوزف تويني والوالدة الراحل ليلى.

نعش قصير تحت نثر الورود بعد الخروج من الكاتدرائية.

ادخال النعش الى القبر.
(ابرهيم الطويل، ميشال صايغ، مروان عساف، وابرهيم بيكال)

نقل سيدة اغمي عليها على حمالة.

نعش قصير تحت نثر الورود بعد الخروج من الكاتدرائية.

كتبت هالة حمصي:

القبر الاسود. هناك وقفت جيزيل وهي تضم وردة حمراء الى صدرها. وردة لسمير. وكأن هو ينتظر. ينتظر كلمات الوداع الاخيرة، النظرات الاخيرة، الدموع التي لا بد من أن تجر دموعاً اخرى حارقة. دموع الشوق. كان ذهول. الذهول امام الموت، امام القبر الاسود الذي ينتظر سمير. تأملته جيزيل طويلاً، كأنها لا تصدق ان هناك سيدة، كانت تنتظر الى الداخل، غارقة في افكار وافكار، تحاول ان تتقبل الامر، ولا تصدق عينيها. خافت عليه. وبكت بصدره، قرب الحائط. لم تفقد هدوءها رغم كل العنين والنحيب حولها. "يا سمير، يا حبيبي". كم ندمت له والدته ليلى، وكم تأوهت "آه، آه، آه، آه، ضمناك..." كلما فاق الالم في قدرة على التحمل. وقربها وقرب سمير وجيزيل، شمع نحيب الوالد حنا. شمع لان وجهه كان "يمزقه الحزن وهو غارق في التفتيش عن "السمير". ففي "تفق" القبور، هناك سيفترق الاحباء، وهناك لا تعود كلمات الحب تحمل الموت. لقد دقّت الساعة، وتعالت اصوات الشباب تخنقها الدموع: "ضمناك يا سمير، صرخوا عشرات المرات، فيما حملت السواعد النعش، ورفعته الى القبر.

الوردة الحمراء

آه، اي لحظة كانت. لحظة يقف فيها الاحباء مستسلمين، شبه اموات. جيزيل رافقت "الحبيب" بعينين دامعتين، تخفيهما نظارات سوداء كبيرة. تذكّرت الوردة الحمراء. لم تعرف كيف تترك "هذه الخلية" الحمراء مع سمير. القبر عال، والناس يزحمونها. أرادت ان تفعل شيئاً، لكن الامور تتسارع حولها. وقفت تتأمل الداخل الى القبر، تنتظر بحرقة ان تقدم الى "كلمة حبها" الحمراء قبل ان يغلق الباب عليه للمرة الاخيرة. كان احد مرافقيها اقرأ ارتباكها، فاخذ الوردة من يدها والقاها الى الداخل، الى سمير.

تنفست الصعداء، لكنها لم ترتح. هناك، اصبح سمير في القبر الاسود، وهي في الخارج. الآن بعد يمكن فعل شيء. الباب اقفل بلوحة رخامية، والتنهي الامر. لكن الامر لم ينته. هناك وقفت جيزيل باكية، وبتشدت اصابع يديها، وضمتها الى قلبها. تكاد تصرخ: لا، لا. لكنها لم تفعل. "ليك وين صار. شو بالحياة"، تمتمت بصوت مخنوق، وهي تنظر الى القبر. كأنها لا تزال غير مصدقة، واجهشت. "ما كان سايبو لبنان".

مدير مرعب

انتهى كل شيء. لكن جيزيل وسمير لديهما امور كثيرة يقولانها بعد. بقيت وحدها معه. اقتربت منه، ورفضت بحيماً عائلها الى "مرشه" ومتلقتمها به، كأنها تعانقه، تقبله، وهمست في اذنه لحظات. كان صمت ثقيل اطبق على المكان. نظرت اليه مرة اخرى ومضت محطمة. لقد قيل كل شيء.

على "شلالات" من التصفيق، حمل امس عشرات المئات شهيد الصحافة والحرية سمير قصير الى مثواه الاخير، في رحلة وداع مؤثرة وطويلة، القى خلالها تحية اخيرة على الاماكن والاصدقاء الذين احبهم. وقد بدأت من منزله في الاشرفية، حيث امضى بعض الوقت في احضان الاهل والاقرباء، في رحاب المكان الذي ربما شهد اسعد ايام حياته، قبل ان يلقى حتفه امامه قبل يومين. ومن هناك الى ساحة الشهداء، حيث خرجت جريدة "النهار" واعلامها الى نقاله في تجمع حاشد امام مبناها، يتقدمه غسان تويني والمدير العام للجريدة النائب المنتخب جبران تويني، والنخم الوطني الكبير من "حركة اليسار الديموقراطي" وحركة التحرير الوطني الفلسطيني وحشد من السياسيين، ولاسيما من الخطاب المعارضة، في طليعتهم رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي النائب وليد جنبلاط وعميد حزب الكتلة الوطنية كاروس اده.

وشكّل انتظار قصير محطة جمعت الكل تحت صورة ضخمة له علقت على مبنى "النهار"، سياسيون وحزبيون وصحافيون وكتاباً واكاديميون وطلبة جامعيون وحقوقيون وناشطون في حقوق الانسان...كانت الحادية عشرة والنصف قبل الظهر عندما وصل النعش الى موكب. لحظات واخرج من السيارة ملفوفاً بالعلم اللبناني، وتزاحمت السواعد على حمله، وتدافعت الاجساد، وتعالى الصراخ واجهش اصدقاء ومعارف في البكاء.

قليل ايام قليلة فقط، كان هنا، يسامر، يضحك، يبادل الاحاديث، يكتب، ويتلقى التحيات على الزملاء. واليوم عاد وحمله على الاكتاف زملاء في "النهار" واصدقاء له، يتقدمهم جبران تويني وامين الياس مع "حركة اليسار الديموقراطي" وفيها عبد الله مرتين، داوود به في البادئة الخارجية لحركة امل، تحدق، تحت نثر الورود، كانهم يدفنون بعريس اشتشلوها اليوم. وكل مرة، كان يتعالى التصفيق تحية لشهيد الحرية وتأكيداً لمواقفه، وكان يزداد البكاء والتأوهات. "يا سبع يا اصيل" صرخ احدهم، ومتك اخرون: "حرية، سيادة" فيما كان بعضهم يحمل لافتات كتب عليها: "استشهاد سمير قصير من عجائب اميل لحود"، و"من كمال جنبلاط الى سمير قصير القاتل واحد".

سمير في البرلمان

ومن هناك، انطلق الجميع سيراً الى ساحة النجمة وكما تأخر النعش في احيائه بيروت، تعالى التصفيق أكثر فأكثر، مثل مدير المرطر والمحلل والناس، وجعل الموت يستحي ويتراجع ولو لمرة. خطوة فخطوة، تقدم حملة النعش وصافحوه نحو المحضر التالي كاتدرائية الفرنسيس. وارجوجوس للروم الارثوذكس. ففي الاحد، مات الاعتذار. ودخل سمير الساحة

- التتمة في الصفحة 17 -

لن نقدر ان نحيد عنك لئلا يدجّننا الظالمون

المطران جورج خضر

المطران خضر متكلماً. (ابرهيم الطويل)

"يا سمير، يا رافدا في سلام الحقيقة لقد جرحت العنين كثيراً فعلى صاحب هذه الكنيسة فاعتادت العنانين عليك انفتلنك وساخذاك الامض هو القلم الذي يمنح كلمات تحب، في عبقها من الكلمة الذي كان في اليده" وانت الاعلم بأن الفرح المنازل عليك يبقى الى الابد وينسرح على شفتيك ويذهب منعما الى الاحية ليحيوا والتنائين تموت آجلا ام عاجلا في مصير وحشيتها. واما الحرية فملكوتيها لأنها ابنة الله وهي تغفر لنا كل خطيئة اذ تقوم شهادة على القهر والتلمس العدى لمقامها.

لقد شئت ان تموت الحرية في بلدك وكل اقطار العرب ليحيوا، ذلك ان الجاهلية كعاصفة هوجاء تعود وانت في الجبل مذكر بالعلم وفي الظلم مذكر بالعدل في كل أزمنة الناس داعية الى الانسانية السوية لأنك تريد ان تنسكب الناسوتية العربية في لاهوتية تمطيها وتنفخها وتقومها للملأ يأسرنا بين ترابنا والحياء الذي خلقنا عليه ونشأنا فيه وتغنا اليه.

قدمت دموعك لن تغفل العهود لنبحث معك عن قيد الحب وحده وان نقول في كل ساذجة وان نذوقه ونذيقه ولكن الذين ترعرعوا على الحقد يأبون الا ان يتحكموا. فبر المحبة يؤذيهم فيظنون ان ابادة الابرار تسكتهم ولكن البر منجاب ويعدل بين البررة حتى يأتي من يعلن سيادة الله على الناس.

كنت، سمير - عالما ام لم تعلم - قائما بوظيفة الذي يعلم "جنّدت للعلم" والحق والعدل والاجمل اثبت من مجرد قول الحقيقة وأصبح واسع لأنه الراعن الكبير في نفس صفت وتجلى الله لها: ان وجودك تحت في الحق. لذلك لم يبق لك من منزلة في هذا العالم فأستأثر الله في سره بك فنقلك اليه لتستضيء بك وتنير العبراء. ذلك ان ربك جعلك قدوة فلن نقدر ان نحيد عنك لئلا يدجننا الظالمون.

قيل لي، بفتيك الاشرار كنت شهيداً علينا وداخلوا ان نقلدك لأنك ما عرفت خفراً مذنباً وما دفعت الصمت ثمنا للحياة وانا دعينا الى تأمل احوالنا في يوم الجمعة كنت انت الغذاء في "النهار" وكنت انت القوة وكنا نأخذك في الصلاة لندوم الحقيقة فيك وتدوم السلاّبة فلم يعلا الا الحقيقة.

في النعش كنت انت فيك السلطة التي تجعل كبار المطلقين وانت، فيك اليد وتترف كيف تعطيه وكيف تكسبه وتخفي عليك وراء اليد التي هي اعظم. على هذا انا وأجدنا نتاجك تراه لا يدور حول الماضي الا لنحيا به في "الحق الحاضر" كما يقول بطرس. ولعل عبارة الرسول هذه خير تعريف عن السياسة وهي فن الحكماء اي اذا كانت مادتها من هذا العالم تأتي هذه المادة صورة من العقل والعطش في الكنيسة التي عمدت فيها انما يتنزل الى الظلمة ليعظم ويأتي على صورة العطل الاثمي والاكل لهوا وزينة واقتحاراً والحكمة لا تجد مكاناً على مقدسها لما كان مكمّل العقود لأنها متحركة للخدمة اي ان نفختها هي ذلك الحب المبذول ابداً في سبيل والآخر هو الذي يحددك. ولا يحدك وجماعة الذين يلقون الآخرين معطائين هم من تسيهم الامة والامة القائمة على تراب واحد هي وإياه الوطن. ومتعهدوه بمسؤولية احتراف هو مكانه وبحكيهم - وهذا شرط وجودهم - العقل كما وصفناه، والوطن لا يعرف بحجمه ولكنه يعرّف بدعوته واطلالاته ووحدته حتى لا يكتب عليه الذل ولا يكتب على الآخرين الاذلال. والوطن يتناغم اوطاناً اخرى تشترط لنفسها الحرية والخدمة لئلا تقع في العدم.

وقد تتناغى بلدان لها لغة واحدة وتطلعات متقاربة كما هي الحال في المشرق العربي. كل هذا كنت تعرفه يا سمير وتدعو اليه فأنت كنت محباً لشعوبنا بما كنت محبا لحكامه ما كانوا حكماء لأن السلطة في بلاد الحرية تدول بمعنى انها تتداول. واما الناس فيالقون بنعمة من ربهم وبتوق قلوبهم والجهود. ولا احد يعلم الحاكم الخدمة ان لم يرتها من السماء ولكنك، صحافيا او كاتبا او مؤرخا او داعية، تدل على ورثة الله ومعانيه ان الأمية لا يعلمون، انما الرسائون مثلك فيرون لأن الله يمشي امامهم او يبيت في كيانهم فحضورهم مما اختلط التعابير حضوره ويمنعا هكذا اللوم نعمة جديدة.

لقد بت يا صاح لهذه الحقائق ولذا اجتمع اليك شعوب فلا خوف علينا والذين غيبوا مع الذين استبقوا شعوداً على الارض امة واحدة هي امة الحق واذا ما ودعناك اليوم واتسما الحزن فلن نستسلم لغياب الشهادة عن لساننا والقلم اذ "لم يرد ان الله نفسه بلا شاهد".

لا تخف يا صاحبي فالوطن تصنعه اللغة لأن الاحطار قليل. لا يعلم الاكثرون ان الشقاوة هي المبدعة في كل الحقول بما فيها السياسة. انك علمت طلابك وقراءك الحرية واوجع ان يفهموا انها حرية من اجل القداسة ومن اجل قيام الجميع بناء متراصا. وانت استعدت هذا الشراص بين كل عائلاتنا الروحية تباينت او تباسرت. لقد عرف الاذيق الديموقراطية حكم الشعب، غير اني مذكر ان هذا ليس حكم الدهماء فالجهل وابتزاز القلوم والسلطوية والعدر وهو الكلمة المعدية للسرقة لا حكم الناقصين.

سمير كنت تعرف كل ذلك فخشيك الخطاؤون وصموا آذانهم لأنهم ابوا ان تتوب قلوبهم. لكنك في رحيلك ما زلت قائلا ما كنت دائما تقوله ونحن لك من الناقمين.

يبقى الوجع الصالب لمحبيك واهل القلم وهذه الاسرة التي ادعو ان يذهب عنها التفجع في يوم يعينه الله في حكمته ولن يذهب عنها وعنا اعجاب بك وفيه بعض ذهول. جميع الذين حولك اليوم ادعو ان ينسكب الرضا الالهي عليهم بما يعدهم من تعزيات. فالشهداء لا يموتون الا هي ما ظهر ان تظلمهم ربهم اليه في رحمانيته وكرحمة والقلم مع الذي الآلك البحطة امام وجهه فيبرحون اذا زمل الباطل وعدم الله البلد ومجمع الانسان الى الانسان في كل اصقاع الارض. لا تخف يا سمير فأنت الآن في حضن الآب والذين جئت منهم ابنا وابا وزوجا ونسيبا وصديقا ورفيق نضال هم محضونوه ايضا بنعمة تنزل عليه كل يوم. فأنت لهم ولنا وللبنان والعرب. ومن عرف فكرك وجمادك وحلاوة نفسك فخر واعتزاز الى ان تلقاك امام وجهه في اليوم الآخر. واما الآن فسلام عليك وعلى الابدية الدين. "سيمسح الله عن عيونهم كل دمعة" اذا عاشوا على رجاء القيامة والحياة الابدية.

● نص كلمة المطران جورج خضر في تأبين الشهيد سمير قصير هامر امس.

(ابرهيم الطويل)

(ابرهيم الطويل)

(ابرهيم الطويل)

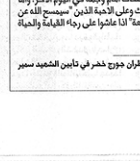
(ابرهيم الطويل)